إضاءات نقدية (فصلية محكّمة)
السنة الثانية – العدد الثامن – شتاء ١٣٩١ش/ كانون الأول ٢٠١٢م
صص ١٦٣ ـ ١٧٩

التناص فى قصيدة «قل للدّيار» لجرير مع قصيدة «خفّ القطين» للأخطل

على نظرى*
يونس وليئى**

الملخص

تعـدّدت الدراسـات النقدية فى الأدب المعاصـر ونظرية التناص مـن أبرزها. وهو مصطلـح نقدى حديث وافد مـن الغرب إلى العالم العربى، وله أنـواع متعدّدة ومنها: التنـاص الأدبى وهو تداخل نصوص أدبية سـابقة مع النـص الأدبى اللاحق. وهذا النـوع من التناص يبرز بـروزاً واضحاً جلياً فى النقائض. وهـذا البحث يحاول أن يعالج التناص الأدبى فى قصيدة "قل للدّيار" لجرير – وهى من النقائض – مع قصيدة "خفّ القطين" للأخطل. ويهدف إلى إظهار حوار القصيدتين وتعالقهما وتداخلهما عبر التناص المضمونى والشـكلى. ونرى من خلال دراستنا أن التناص قد برز فى قصيدة جرير فى نوعيه الشكلى والمضمونى بروزاً واضحاً.

الكلمات الدليلية: التناص الأدبى، التناص المضمونى، التناص الشـكلى، جرير، الأخطل.

---

*. جامعة لرستان، خرم آباد، إيران. (أستاذ مشارك). alinazary2002@gmail.com
**. جامعة لرستان، خرم آباد، إيران. (طالب مرحلة الدكتوراه).
التنقيح والمراجعة اللغوية: د. هادى نظرى منظم
تاريخ الوصول: ١٣٩١/٣/١هـ. ش تاريخ القبول: ١٣٩١/١٠/١٤هـ. ش

Archive of SID
www.SID.ir

المقدمة

النقائض فن شعرى نشأ فى العصر الجاهلى واستمر إلى العصر الأموى وبلغت ذروتها فى ذلک العصر على أيدى الشعراء الثلاثة (الفرزدق، وجرير، والأخطل) بسبب الصراع العنيف بين الأحزاب السياسية وإيقاد نار العصبية بين القبائل، وهى: «أن يتّجه شاعر إلى آخر بقصيدة هاجياً أو مفتخراً فيعمد الآخر إلى الرّدّ عليه هاجياً ومفتخراً ملتزماً البحر والقافية والرّوى الذى اختاره الأول.» (الشّايب، ١٣٧١ق: ٣)

وإذا كان التناص بمعنى حوار النصوص وتداخلهما، على حسب ما جاء فى تعريف النقائض، تقع النقائض فى صلب التناص. لأن أصحاب النقائض كانوا يأخذون كثيرا من معانى الشاعر الأول ويغيرون توظيفها باستخدام بعضها لصالحهم ونقض بعضها وردّها إلى الشاعر الأول. وفى هذه المقالة نتطرّق إلى التناص الأدبى فى النقائض؛ واخترنا للدراسة القصيدتين الشهيرتين من النقائض وهما قصيدة "قل للديار" لجرير وقصيدة "خفّ القطين" للأخطل. ويتناول بحثنا هذا فى الابتداء نشأة التناص ومفهومه، وبعده يتطرّق إلى التناص المضمونى ثمّ التناص الشكلى فى قصيدة جرير. من حيث إنّ الأخطل هو البادئ وقصيدته أقدم من قصيدة جرير فإننا سنتخذ قصيدته أصلاً نقيس عليه نقيضة جرير فى الأشكال والمضامين.

مع أن دراسات عديدة أجريت فى ظاهرة التناص لكن أكثرها حول التناص القرآنى أو الدينى والقليل منها تطرّق إلى التناص الأدبى. ومع هذا الكثير من الدراسات فى التناص الأدبى قد وقع فى شعر التفعيلة دون الشعر العمودى خاصة النقائض. ومن هنا يمكننا القول إن دراستنا هذه تتصف بالجدّة فى مجاله.

وفى أهميتها نتذكر كلام رحاب الخطيب: تعد المقاربة التناصية إحدى الأدوات الحيوية والمنافذ الحية لدراسة النص الشعرى. فهى مفتاح لقراءة النص وتحليله وتفكيكه وإعادة بنائه. (الخطيب، ٢٠٠٥م: ١٢)

نشأة التناص ومفهومه

وهناک إجماع نقدى على أنّ جوليا كريستيفا البلغارية التى تحمل الجنسية الفرنسية هى أول من وضع مصطلح (التناص lintertextualite) عام ١٩٦٦م منطلقة من

www.SID.ir

مفهـوم الحوارية عند باختين الروسـی، لكن بعض النقاد العـرب يترجم المصطلح إلى التناصية وهم يضعون التناص فی مقابلة كلمة (intertext) الفرنسية.

كريستيفا نفسها قد تخلّت عن مصطلح التّناصّ فی عام ١٩٨٥م، وآثرت عليه مصطلحاً آخر هو التنقّلية، إذ تقول: إن هذا المصطلح التّناصّية الذی فهم غالباً بالمعنی المبتذل لنقد الينابيع فی نصّ ما، نفضل عليه مصطلح التنقّلية. (عزّام، ٢٠٠١م: ٢٩)

تعدّدت مفاهيم التناص ودلالاتـه وقدّمت تعاريف كثيرة للتناص من زوايا مختلفة. والجدير بالذكر أنّ مفهوم التناص ليس جديداً فی الدراسـات البلاغية والنقدية العربية والغربية، فقد ورد تحت تسـميات مختلفة كالاقتباس، والتضمين، والسـرقات الشعرية، والتلميح، والإشـارة و... لكن مفهوم التناص احتواها وتجاوزها ووسـع آفاقها. وقد تعددت تعريفات مصطلح التناص عند النقاد، والآن نذكر عدة منها:

التناص عند كريسـتيفا هو ذلـک (التقاطع داخل نص لتعبـير مأخوذ من نصوص أخرى) وتقول التناصية هی أن يتشـكل كل نص من قطعة موزاييک من الشواهد وكل نص هو امتصاص لنص آخر أو تحويل عنه.» (المناصرة، ٢٠٠٦م: ١٣٩)

«التنـاص هو تعالق (الدخول فی العلاقة) نصوص مع نص حدث بكيفيات مختلفة.» (مفتاح، ١٩٩٢م: ١٢١)

«الطريقة التی يتماس بها النص مع نصوص أخرى سابقة؛ أو وضع النصوص السابقة بطريقة أخرى فی النص؛ أو كيف تطعّم النصوص وتتصل بنصوص أخرى.» (محمد شبل، ٢٠٠٩م: ٧٥)

إن النص كدليل لغوی معقد، أو كلغة معزولة شبكة فيها عدة نصوص، فلا نص يوجد خارج النصوص الأخرى أو يمكن أن ينفصل عن كوكبها، وهذه النصوص الأخرى هی ما سميته بالنص الغائب غير أن النصوص الأخرى المستعادة فی النص تتبع مسار التبدل والتحول.» (بنيس، ١٩٩٨م: ٨٥)

«كلّ نـص يتعايش بطريقة مـن الطرق مع نصوص أخرى. وبذا يصبح نصاً فی نص، تناص.» (الخطيب، ٢٠٠٥م: ١١٣)

«التّناصّ تشـكيل نصّ جديد من نصوص سـابقة أو معاصـرة، بحيث يغدو النّص

www.SID.ir

المتناصّ خلاصة لعدد من النصوص التى تمحى الحدود بينها، وأعيدت صياغتها بشكل جديد، بحيث لم يبق من النصوص السابقة سوى مادتها. غاب الأصل فلا يدركه إلا ذوو الخبرة والمران.» (عزّام، ٢٠٠١م: ٢٩)

أنواع التناص

يحدث التناص فى نوعين أساسيين وإن تعددت تسميات، نوع يعود إلى الشكل وهو ما سماه محمد مفتاح بالتناص الخارجى. (مفتاح، ١٩٩٢م: ١٢٤) وسمته عزة محمد شبل بالتناص المباشر. (محمد شبل، ٢٠٠٩م: ٧٩) وسماه حسام أحمد فرج بالتناص الشكلى. (أحمد فرج، ٢٠٠٣ م: ١٩٩) وهو اجتزاء قطعة من النص أو النصوص السابقة ووضعها فى النص الجديد بعد توطئة لها مناسبة تجعلها تتلاءم مع الموقف الاتصالى الجديد وموضوع النص. وهو الشكل البسيط الذى يتحقق بنقل التعبير. (محمد شبل، ٢٠٠٩م: ٧٩)

ونوع يعود إلى المضمون وهو ما سمى بالتناص الداخلى. (مفتاح، ١٩٩٢م: ١١٤) وبالتناص غير المباشر. (محمد شبل، ٢٠٠٩م: ٧٩) وبالتناص المضمونى. (أحمد فرج، ٢٠٠٣م: ١٩٩) وهو الذى يستنبط من النص استنباطاً ويرجع إلى تناص الأفكار أو المقروء الثقافى أو الذاكرة التاريخية التى تستحضر تناصها بروحها أو بمعناها لا بحرفيتها أو لغتها وتفهم من تلميحات النص وإيماءاته وشفراته وترميزاته. (محمد شبل، ٢٠٠٩م: ٨٠)

مصادر التناص

١. المصادر الضرورية: ويكون فيها التأثر طبيعيا وتلقائيا وهو مايسمى بالذاكرة أو الموروث العام كتقيد الشاعر غير الواعى بالضرورة بحدود ثقافة توافرت له فى إعداده وتعليمه.

٢. المصادر الداخلية: وتشير إلى التناص الواقع فى نتاج الشاعر نفسه وهو الإتيان بجزء من نص سابق له فى نص جديد.

٣. المصادر الطوعية: وهى اختيارية وهى ما يطلبه الكاتب من نصوص متزامنة أو

www.SID.ir

سابقة علیه ویستدخدمها الکاتب للدلالة علی ذاتها. (محمد شبل، ٢٠٠٩م: ٧٦)

قال محمد المفتاح فی أهمیة التناص إنه بمثابة الهواء والماء والزمان والمکان للإنسان فلا حیاة له بدونهما ولا عیشة له فی خارجهما. (مفتاح، ١٩٩٢م: ١٢٥) وقالت عزة شبل محمد إن التناص ضرورة لربط العمل الأدبی بالحیاة عبر الاستعانة بالنصوص الأخری الحیة سواء انتمت لعمل أدبی أو أسطوری أو دینی. فالتناص یجعل النص الجدید الذی یستعین به نصّا مألوفا من ناحیة وثریا باستجلاب عوالم أخری إلی عالمه لتصیر عناصره التکوینیة فی صلة ذات دلالات جدیدة. (محمد شبل، ٢٠٠٩م: ٧٧)

التناص فی القصیدتین

قبل التطرق إلی التناص فی القصیدتین الأفضل أن ندرس هیکل القصیدتین:

یستهلّ الأخطل قصیدته بالنسیب من البیت ١ حتی ١٧. ثم یتخلّص إلی المدح فیمدح الخلیفة وقومه من البیت ١٨ حتی ٤٤. وبعد ذلک یبدأ بالفخر، و الفخر عند الأخطل ضئیل ٤٥-٥٧. وینهی القصیدة بهجاء القیسیین وأحلافهم وهجاء بنی کلیب ٥٨- ٨٥.

جریر یبدأ قصیدته بالنسیب ١-١٦. ثمّ یتخلص إلی الفخر ویمزج الفخر بالهجاء بحیث لایمکن تحدیدها فی أبیات متوالیة ١٧-٧٤. کما رأینا تشترک القصیدتان فی المطلع وهو النسیب وفی غرضی الفخر والهجاء، وتختلفان من جهة واحدة وهی وجود المدح فی قصیدة الأخطل وعدمه فی قصیدة جریر.

کما جاء فی تعریف النقائض الشاعر الثانی یلتزم البحر والقافیة والرّوی الذی اختاره الشاعر الأول. لذا تشترک القصیدتان فی البحر العروضی وهو بحر البسیط:

خف فل ق طی/نُ ف را/حومن ک أو/ ب ک رو

وأزعَ جت/هم ن ون/فی صر ف ها/غ ی رو

مستفعلن / فعلن / مستفعلن / فعلن متفعلن / فاعلن / مستفعلن / فعلن

قل لد د یا / ر س قی / أط لا ل کل / م ط رو

قد هج ت شو/ قن وما / ذا تن ف عل / ذ ک رو

Archive of SID

www.SID.ir

مستفعلن / فعلن / مستفعلن / فعلن مستفعلن / فاعلن / مستفعلن / فعلن

وتشترک القصيدتان فی القافية وحرف الروی وهو حرف الراء المضمومة فی کلتيهما.

١. التناص المضمونی بين القصيدتين:

فی *النسيب*: لقد تضمنت قصيدة جرير معانی متعددة من قصيدة الأخطل فی النسيب وسببه يعود إلی اختلاف الموقف الإبداعی بين الشاعرين، فالشاعر الأول له حرية اختيار الموضوع والوزن والقافية والمعانی. أما الشاعر الثانی فهو مقيد بالموضوع الذی فرض عليه ومقيد بحدود الوزن والقافية المستعملين عند الشاعر الأول. وإنّما الشاعر الأول له ما شاء من الوقت، أمّا الشاعر الثانی عليه أن يردّ علی الأول قبل فوات الوقت.

وقد قال جرير فی رحلة الأحبّة:

نادی المنادی ببين الحی فابتکروا منّا بکروا فما ارتابوا وما انتظروا

وهذا المعنی يتناص مع معنی البيت التالی من قصيدة الأخطل فی رحلة الأحبة:

خفّ القطين فراحوا منک أو بکروا وأزعجتهم نوی فی صرفها غير

ونری اختلافا بين الشاعرين فی ذکر الرحيل وهو أنّ جريرا قد تنبّه علی وقت الرحيل، واستخدم الجملة خبرية وقال: «بکروا فما ارتابوا» ولکن الأخطل کان متسائلا عن زمن الرحيل، واستخدم الجملة إنشائية قائلا: «فراحوا منک أو بکروا».

وقد قال جرير فی حزنه إثر نزوح الحی:

قالوا لعلک محزون فقلت لهم خلوا الملامة لا شکوی ولا عذر

کما وصف الأخطل حزنه إثر نزوح الحی فی البيت:

فالعين عانية بالماء تسفحه من نية فی تلاقی أهلها ضرر

ويبدو أن جريرا لم يظهر حزنه أمام أصدقائه بعد الرحيل وهم کانوا مترددين فی حزنه. ويدلّ علی هذا استخدام کلمة "لعلّ" فی قوله «قالوا لعلک محزون». لکن الأخطل ما استطاع إخفاء حزنه بعد الرحيل وأظهره بالبکاء، حيث يقول: «فالعين عانية بالماء

www.SID.ir

تسفحه».

وفی متابعة الظعائن قال جریر:

إنّ الفؤاد مع الظعن التی بکرت　　من ذی طلوح وحالت دونها الضهر

وقال الأخطل فی متابعته الظعائن:

شــوقا إلیهم ووجدا یــوم أتبعهم　　طــرفی ومنهــم بجنبی کوکــب زمر

نــری أن جریرا بعد رحلة الظعائن وقف فی مکانــه ونظر إلیهن من بعید وما تابعهن بعد أن اختفن خلف الکثبان وأما هذا الوقوف وعدم المتابعة فلیس بمنزلة نسیانه إیاهنّ، وکما قال فؤاده مع الظعائن حتی بعد أن ابتعدن عنه بحیث لایســتطیع أن یراهنّ. ولکن الأخطل من جرّاء الشوق الذی یعانیه لظعائن الأحبة لم یستطع أن یقف فی مکانه و وقد اقتفی أثرهم بنظره.

وقال جریر فی زمن النزوح وصعوباته:

أبصرن أن ظهــور الأرض هائجة　　وقلص الرطب إلا أن یری السرر

فی هذا البیت أتی التناص مع بیت الأخطل التالی:

شــرقن إذا عصر العیدان بارحها　　وأیبســت غیر مجری السنة الخضر

یــری المتتبع لهذه القصیدة أن جریرا قال إن الأحبة رحلوا فی زمن یبســت الأرض وأصیبــت بالمحل والجدب، کمــا قال الأخطل إن الأحبة رحلن واتجهن شــرقا فی زمن تجفّفت الریح الباردة الأرض والکلأ ولم یبق نبات واضمحل الخضر إلا فی مجری السکة.

وفی وصف قافلة الأحبة قال جریر:

إن الخلیــط أجدّ البــین یوم غدوا　　من دارة الجأب إذ أحداجهم زمر

وفی هذا البیت تناص مع قول الأخطل فی وصف قافلة الأحبة:

شــوقا إلیهم ووجدا یــوم أتبعهم　　طــرفی ومنهــم بجنبی کوکــب زمر

وکلا الشاعرین قدوصفا الأحبة بجماعات حین نزوحهم، وقدقال جریر إنهم جماعات

Archive of SID

www.SID.ir

يوم ابتكروا وأسرعوا فى الزيال، كما قال الأخطل إنهم جماعات عندما يجتازون موضع كوكب. فى هذا البيت استخدم جرير نفس القافية التى استخدمها الأخطل.

فى الفخر و الهجاء: نرى أن جريرا قد ضمّن فى فخره وهجائه معانى متعددة استخدمها الأخطل فى شعره من قبل.إذ هجا جرير نسوان تغلب بالقول:

نسوان تغلب لا حلم ولا حسب ولا جمال ولا دين ولا خفر

ويستمر التناص فى هذا البيت مع بيت الأخطل:

قوم أنابت إليهم كل مخزية وكل فاحشة سبت بها مضر

نرى السمة الإسلامية فى شعر جرير فى قوله "لا دين"، حيث عير جرير نساء تغلب بنصرانيتهنّ. وبين أسلوب الشاعرين فى هجو النساء اختلاف، وهو أن الأخطل نسب إلى نساء كليب الرذائل ولكن جرير نفى عن نساء تغلب الفضائل.

نسب جرير اللؤم إلى التغلبيين حيث يقول:

يا خزر تغلب إن اللؤم حالفكم مادام فى ماردين الزيت يعتصر

يتناص هذا البيت مع قول الأخطل فى لئامة كليب:

واقسم المجد حقاً لا يحالفهم حتى يحالف بطن الراحة الشعر

وشبه جرير اللؤم بإنسان ثمّ حذف المشبّه به وأتى بفعل من أفعاله وهو فعل "حالف" على سبيل الاستعارة المكنية، كما قبله شبّه الأخطل المجد بإنسان، ثمّ حذف المشبه به، وأبقى فعلا من أفعاله يدلّ عليه وهو فعل "حالف"، لكن بينهما اختلاف وهو أن جملة جرير إيجابية وأما الأخطل فجملته منفية. ونرى أن جريرا فى شطره الثانى تابع أسلوب الأخطل فى شطره الثانى وهو الاتيان بمعنى حسى يفيد استمرار المعنى فى الشطر الأول.

وصف جرير التغلبيين بقلة الشأن والمقام، حيث يقول:

والتغلبى إذا تمت مروءته عبد يسوق ركاب القوم مؤتجر

وفى هذا البيت التناص مع بيت الأخطل:

www.SID.ir

صفر اللحی من وقود الأدخنات إذا ردّ الرفاد وکفّ الحالب القرر

ونری أن جریراً نفی عن الأخطل علو المقام ونسب إلیه الدناءة والذلّة بالقول إنه عبد مأجور یستخدم لأداء أمور آخرین، کما قبله وصف الأخطل التغلبیین بقلّة الشأن والمقام بالقول إنهم رقیق قد اصفرّت لحاهم لکثرة ما یستخدمون لیوقدوا النار أیام الصقیع.

افتخر جریر بقبیلة قیس:

قیس وخندف أهل المجد قبلکم لستم إلیهم ولا أنتم لهم خطر

وأتی التناص عند الشاعر بالتأثر من قول الأخطل:

وما سعی فیهم ساع لیدرکنا إلا تقاصر عنّا وهو منبهر

وقال الأخطل إنّ بونا شاسعا بین مقام تغلب ومقام قیس بحیث إنهم لایستطیعون أن یصلوا إلی مقام تغلب ولایلحقون بهم حتی تتقطع أنفاسهم، ثمّ جاء جریر وقابل الأخطل فی هجائه بالقول إن القیسیین هم أهل المجد ولهم فضل علی التغلبیین وهم لایعدّون شیئا.

وقال جریر فی الدفاع عن قیس:

یا ابن الخبیثة من عدلت بنا أم من جعلت إلی قیس إذا زخروا

وفی هذا البیت حدث التناص مع بیت الأخطل:

ضجوا من الحرب إذ عضّت غواربهم وقیس عیلان من أخلاقها الضجر

ونسب الأخطل فی هذا البیت إلی التغلبیین الجبن عن القتال وقال إنهم لایطیقون القتال عندما یحتدم ویشتدّ علیهم، وإنهم یتضجرون أمام المشقات والصعوبات ثمّ جاء جریر مدافعا عن قیس، وقال من یستطیع أن یقابل القیسیین ویواجههم عندما جاشوا فی الحرب. والاستفهام فی بیت جریر یفید التوبیخ.

وهذا النوع من التضمین فی النقائض یسمّی المقابلة أو المؤازاة وهی أن یضع الشاعر الثانی من المعانی الفخریة أو الهجائیة ما یناظر ویقابل معانی الشاعر الأول. (الشایب،

Archive of SID

www.SID.ir

۱۳۷۱ق: ۳۵)

ويتحدث جرير عن حقارة منزل تغلب ومقامهم قائلا:

إنى نفيتـک عـن نجد، فمـا لكم نجـد وما لـک من غـور به حجر

إذ حدث التناص مع بيت الأخطل:

كـرّوا إلى حرّتيهـم يعمرونهـا كمـا تكـرّ إلى أوطانهـا البقـر

ويعرّض الأخطل فى هذا البيت بمقام القيسيين مشيرا إلى أن هؤلاء بعد أن انهزموا فى احتلال مواقع تغلب رجعوا إلى أرضهم القاحلة التى تكثر فيها الحجارة السود. وشبّههم فى رجوعهـم إلى ديارهـم بالبقر، ثمّ امتص جرير المعنى وقـال إنه طرد الأخطل وقومه عن المواقع الخصبة إلى المواقع الوعرة والجدباء وهم لايمتلكون شيئاً عن تلک المواقع.

وقال جرير فى قدرتهم وصلابتهم:

إنّـا وأمّـک مـا تُرجـى ظلامتنا عند الحفاظ ومـا فى عظمنا خور

ويستحضر هذا البيت فى الذهن البيت التالى للأخطل:

لايسـتقلّ ذوو الأضغـان حربهم ولايبـين فى عيدانهـم خـور

والأخطل هنا استخدم هذا البيت فى مدح بنى أمية وقال لايوجد فيهم ضعف وفتور، وبعده جاء جرير وأخذ المعنى واسـتخدمه فى الفخر بأنفسـهم، وقال لايعترى صلابتهم وهنٌ.ونرى أن جريراً استخدم نفس القافية التى استخدمها الأخطل.

۲. التناص الشكلى:

إن من يقرأ قصيدة جرير يظهر له بوضوح استخدامه أبيات الأخطل وجمله وكلماته. ونحن فى هذا القسـم من هذه الدراسـة نريد أن نوضح هذا القسم الذى اعتبره النقاد التناص الشكلى.

أ. *التناص الجملى*: أتى جرير بعدّة جمل من قصيدة الأخطل فى قصيدته، منها:

قال جرير:

www.SID.ir

قالوا نری الآل یزهی الدوم أو ظعناً یا بعد منظرهـم ذاک الذی نظروا

حیث یتناص الشطر الثانی مع الشطر الثانی من البیت التالی للأخطل:

إذ ینظـرون وهم یجنـون حنظلهم إلی الـزوابی بعـد مـا نظـروا

ونری أن جریراً وظف الشطر الثانی الذی اقتبسه من الأخطل توظیفاً جدیداً ومخالفاً لتوظیفه عند الأخطل، ولکن جریرا اسـتخدمه فی نسـیبه حیث یصف نزوح أحبته، أمّا الأخطل فاسـتخدمه فی الهجاء ویقول بعد أن أهلکت الحرب بنی کلیب وذاقوا مرارتها جعلـوا ینظرون إلی مقامنا ویطمعون فیه ثم یسـخرهم مطمعهـم قائلاً: ما أبعد ما أمّلوا وطمعوا فیه.

وقال جریر فی موضع آخر:

لـولا فـوارس یربوع بـذی نجب ضاق الطریق وأعیا الورد والصدر

إذ اقتبس جریر المصراع الثانی من بیت الأخطل التالی:

ولم یـزل بسـلیم أمـر جاهلهـا حتی تعایـا بها الإیـراد والصدر

ونری فی هذین البیتین أیضا اختلافا فی توظیف الشـطر الثانی وذلک لأن الشـاعر جریرا اسـتخدم الشـطر المقتبس فی الفخر ویقول إن قومه هم الذیـن یدبّرون الأمور ویعلّمون الناس سـبل الإقبال والإدبار.لکن الأخطل هجا به القیسیین بتعبیره أن عمیر بن الحباب هو الذی یقود سلیماً بجهله وأعجزها تدبیر الأمور حتی لاتعلم سبل الإقبال والإدبار.

وهذا النوع من الاقتباس فی النقائض یسـّمی بتوجیه المعنی وهو أن الشـاعر الثانی یقتبس معانی الشـاعر الأول ویفسرها ویوجهها إلی وجهة یراها لصالحه وتؤید موقفه. (الشایب، ۱۳۷۱ق: ۳۵)

قال جریر:

إن الأخیطـل خنزیـر أطـاف به إحدی الدواهی التی تخشی وتنتظر

وأخذ جریر المصراع الثانی برمته من الأخطل حیث یقول:

www.SID.ir

وقد أصابــت كلاباً مــن عداوتنا إحدى الدواهى التى تخشى وتنتظر

وكون الأخطل نصرانيــاً يعطى جريراً مجالاً لتعيير الأخطل بدينه وهو يغتنم الفرصة ويعــير الأخطــل بنصرانيته فى أبيات كثيرة فى نقائضه مع الأخطــل. وبما أن النصرانيين يســتبيحون أكل لحم الخنزير، شــبّه جرير الأخطل فى هذا البيت بخنزير، واســتعان فى وصف ذاك الخنزير بشعر الأخطل بالإتيان بشطر كامل من شعره.

والأخطــل فى البيت المذكور مزج هجاءه بالفخر بالقــول إن قومه هم الذين أوقعوا كلابا قوم جرير فى مصيبة عظيمة يخافها الناس ويتحسبون لوقوعها. فهجاء الأخطل فى هذا البيت هجاء قومى أى هجا قوم جرير، أمّا هجاء جرير فشخصى أى هجا الأخطل نفسه دون قومه.

وتجــدر الإشــارة إلى أن هجاء الأخطل فى هذه القصيدة كلــه هجاء القوم لأنه نظم هذه القصيدة فى عبدالملك بن مروان، فهذه القصيدة قصيدة مدحية. كما جاء فى الكتب التاريخية أن الأخطل لقّب بشــاعر بنى أميــة. (الفاخورى، ١٤٢٧ق: ٤٦٦) وهذا اللقب بســبب مدحــه الخلفاء الأمويين والدفــاع عنهم أمام أعدائهم وهجوهــم. وهو فى هذه القصيــدة يهجو القيســيين والكليبيين – وهم مــن حلفاء الزبيريين – بســبب الصراع السياسى الذى كان قائما بين الحزبين الأموى والزبيرى، فهجاؤه سياسى وحزبى وليس شــخصياً.أمّا هجاء جرير فشخصى وقومى لأن مقامه يختلف عن مقام الأخطل وإنّما هو فى مقام الرّد.

قال جرير:

الآكلــون خبيــث الــزاد وحدهم والنازلــون إذا واراهــم الخمــر

وقال أيضا:

الظاعنون علــى العمياء إن ظعنوا والســائلون بظهر الغيب ما الخبر

وهذا جرير أخذ الشــطر الأول من البيت الأول والشطر الثانى من البيت الثانى من البيت التالى للأخطل:

الآكلــون خبيــث الــزاد وحدهم والســائلون بظهر الغيب ما الخبر

Archive of SID

www.SID.ir

وهذا النوع من التضمین فی النقائض یسّمی بالقلب وهو أن «یقول الشاعر الأول هاجیاً فیردّ علیه الثانی قالباً علیه معانیه ذاتها مدّعیاً أنّها من صفات الأول أو رهطه.» (الشایب، ۱۳۷۱ق: ۳۵)

ب. *التناص مع کلمة واحدة*: تزاحم فی قصیدة جریر حشد کبیر من المفردات التی استخدمها الأخطل فی قصیدته، وهذا الاستخدام بعض الأحیان صدفة وغیر مقصود ولکن فی کثیر من الأحیان واع ومقصود ولیس اعتباطیا أو صدفة.

وهنا نذکر علی سبیل المثال عدّة کلمات استخدمها جریر فی شعره ونجدها فی شعر الأخطل أیضا، لکن استخدامها صدفة ولیس متعمدا، وهی: الشوق، والمناکب، والأرض، والناس و... .

ینشد جریر:

قل للدیار سقی أطلالک المطر　　قد هجت شوقاً وما تنفع الذکر

وینشد الأخطل:

شوقاً إلیهم ووجداً یوم أتبعهم　　طرفی ومنهم بجنبی کوکب زمر

کما ینشد جریر فی موضع آخر:

بزل کأن الکحیل الصرف ضرّجها　　حیث المناکب یلقی رجعها القصر

والأخطل کان قد أنشد:

حثّوا المطی فولّتنا المناکب　　وفی الخدور إذا باغمتها صور

وهذا جریر یقول:

أحیاؤهم شر أحیاء وألأمه　　والأرض تلفظ موتاهم إذا قبروا

ولکن الأخطل قال:

حتی هبطن من الوادی لغضبته　　أرضاً تحّل بها شیبان أو غبر

ثم قال جریر فی مقام آخر:

Archive of SID

www.SID.ir

نرضى عن الله أن الناس قد علموا أن لايفاخرنا من خلقه بشر

بينما الأخطل كان قد قال:

شمس العداوة حتى يستقاد لهم وأعظم الناس أحلاماً إذا قدروا

وأما الكلمات التى تضمنتها قصيدة جرير وأيضا توجد عند الأخطل وتضمينها واع وعن عمد، فهى: المطر، والظفر، ويسروا، وكدر، ونصروا، وعمياء، وبئس، والسكر، ومضر، السوءات، وكفروا، وأثر، وبشر.

جرير:

إن الهذيل بذى بهدى تداركه ليث إذا شدّ من نجداته الظفر

الأخطل:

إلى امرئ لاتعدينا نوافله أظفره الله فليهنئ له الظفر

جرير:

والمقرعين على الخنزير ميسرهم بئس الجزور وبئس القوم إذا يسروا

الأخطل:

ولم يزل بك واشيهم ومكرهم حتى أشاطوا بغيب لحم من يسروا

جرير:

نحن اجتبينا حياض المجد مترعة من حومة لم يخالط صفوها كدر

الأخطل:

بنى أمية نعماكم مجللة تمت فلا فيها منّة ولا كدر

جرير:

أعطوا الخزيمة والأنصار حكمهم والله عزز بالأنصار من نصروا

الأخطل:

Archive of SID

www.SID.ir

بـنی أمیة ناضلـت دونکم أبناءقومهم آووا وهم نصروا

جریر:

الظاعنون علـی العمیاء إن ظعنوا والسـائلون بظهر الغیب ما الخبر

الأخطل:

مخلّفـون ویقضـی النـاس أمرهم وهم بغیـب فی عمیاء ما شـعروا

جریر:

والمقرعین علی الخنزیر میسـرهم بئس الجزور وبئس القوم إذا یسروا

وأیضا جریر:

مـن کل مخضـرّة الأنیـاب قعّرها لحم الخنانیص یغلی فوقه السـکر

الأخطل:

بئس الصحاة وبئس الشرب شربهم إذا جـری فیهـم المزاء والسـکر

جریر:

موتـوا مـن الغیـظ فی جزیرتکم لم یقطعـوا بطـن واد دونـه مضر

الأخطل:

قـوم أنابـت إلیهـم کل مخزیـة وکل فاحشـة سـبت بهـا مضـر

جریر:

هلا سکتم فیخفی بعض سوءاتکم إذ لا یغـیر فی قتلاکـم غـیر

الأخطل:

علی العیارات هداجون قد بلغت نجـران أو حدثت سـوءاتهم هجر

جریر:

Archive of SID

www.SID.ir

فأحمـد الله حمـداً لا شـريک له إذ لا يعادلنـا مـن خلقـه بشـر

الأخطل:

ولا الضباب إذا اخضرّت عيونهم ولا عصيـة إلا أنهـم بشـر

جرير:

جاء الرسول بدين الحق فانتكثوا وهـل يضير رسـول الله أن كفروا

الأخطل:

وقيـس عيـلان أقبلـوا رقصـاً فبايعـوک جهـاراً بعدمـا كفروا

جرير:

كانـت وقائـع قلنا لن تـرى أبداً مـن تغلب بعدهـا عـين ولا أثر

الأخطل:

يعرّفونـک رأس ابن الحباب وقد أضحى وللسـيف فى خيشومه أثر

أخـذ جرير كما رأينا كثيرا من الكلمات المسـتعملة فى القافية من قصيدة الأخطل واسـتعملها فى نفس الموضع. وفى بعض الكلمات اختلاف فى التوظيف عند الشاعرين، فمثلا اسـتخدم الأخطل كلمة "الظفـر" فى قافية البيت الذى مدح بـه الخليفة الأموية ولكن جريرا اسـتخدمها فى البيت الذى افتخر فيه بفوارسهم، أو كلمة "بشر" استعملها الأخطـل فى الهجاء ولكن جريرا اسـتعمل نفـس الكلمة فى الفخـر. وفى بعض الأخر لايوجد اختلاف فى التوظيف، ككلمة "السكر" إذ وظفها كلا الشاعرين فى الهجاء.

النتيجة

كانت تقنية التناص الأدبى واضحة فى قصيدة جرير كما لاحظنا حيث نرى فى بعض الأحيان أن القارئ حينما يقرأ بيتا أو عبارة من قصيدة جرير يتبادر فى ذهنه على الفور قصيدة الأخطل، وسبب هذا الوضوح وهذا الخطور السريع يعود إلى:

Archive of SID

www.SID.ir

– تضمین جریر المعانی المتعددة فی أغراضه الشعریة، التی أخذها عن الأخطل.

– استحضار الأشطر العدیدة والعبارات المتعددة فی قصیدته من قصیدة الأخطل. واستحضار بعضها دون النقصان أو الزیادة وبعض الأخر مع النقصان أو الزیادة.

– استخدام حشد کبیر من کلمات قصیدة الأخطل مع التغییر فی توظیف بعضها وعدم التغییر فی بعض الأخر.

والتناص فی قصیدة جریر کان واعیا ومقصودا إلا فی بعض الأحیان.

المصادر والمراجع

أبوتمام. ۲۰۰۲م. نقائض جریر والأخطل. شرح وتحقیق: محمد نبیل طریفی. بیروت: دار صادر.

أحمد فرج، حسام. ۲۰۰۳م. *نظریة علم النص رؤیة منهجیة فی بناء النص النثری*. تقدیم: سلیمان عطار ومحمود فهمی حجازی. القاهرة: مکتبة الآداب.

بینس، محمد. ۱۹۹۸م. حداثة السؤال. الطبعة الثانیة. بیروت: المرکز الثقافی العربی.

الخطیب، رحاب. ۲۰۰۵م. معراج الشاعر مقاربة أسلوبیة لشعر طاهر ریاض. بیروت: المؤسسة العربیة للدراسات والنشر.

الشایب، أحمد. ۱۳۷۱ق. تاریخ النقائض العربیة. الطبعة الثانیة. القاهرة: مکتبة النهضة المصریة.

عزّام، محمد. ۲۰۰۱م. النص الغائب تجلیات التناص فی الشعر العربی. دمشق: اتحاد الکتاب العرب.

الفاخوری، حنّا. ۱٤۲۷ق. تاریخ الأدب العربی. قم: منشورات ذوی القربی.

محمد شبل، عزّة. ۲۰۰۹م. علم لغة النص النظریة والتطبیق. القاهرة: مکتبة الآداب.

مفتاح، محمد. ۱۹۹۲م. تحلیل الخطاب الشعری (استراتیجیة التناص). الطبعة الثالثة. بیروت: المرکز الثقافی العربی.

المناصرة، عزّ الدین. ۲۰۰٦م. علم التناص المقارن نحو منهج عنکبوتی تفاعلی. الأردن: دار مجد لاوی للنشر والطباعة.

Archive of SID

www.SID.ir